رِسَالَةٌ مِنَ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مَالِكٍ إِلَى حِبِّهِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ

الشيخ السيد الحاج مالك سي

رسائل · 20 paragraphs

1 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

2 اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

3 رَعَى اللَّهُ حَضْرَةَ حَبِيبِنَا سُلَالَةِ الْأَكَابِرِ، بِمَا رَعَى بِهِ حَضَرَاتِ أَوْلِيَائِهِ الْأَخَائِرِ، خَلِيلِنَا عَبْدِ الْقَادِرِ، جَعَلَ اللَّهُ اللُّطْفَ فِيمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، لَا زَالَتْ هَاطِلَةً عِنْدَ سَاحَتِكُمْ رَحْمَاتُهُ، وَبَلِّغْ لَنَا أَتَمَّ السَّلَامِ، وَأَعَمَّ الْإِكْرَامِ، عَلَى تِلْكَ الْجَمَاعَةِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْهِمْ كُلَّ سَاعَةٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا رَضِيَ عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ.

4 وَأُوصِيكُمْ بَعْدَ نَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَةِ السُّنِّيَّةِ، أَوَّلَ مَوَاقِيتِهَا، وَعَدَمِ التَّحَرُّكِ وَالْكَلَامِ فِي شَيْءٍ غَيْرِ إِحْيَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَالْأَرْضِ، وَالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعْلِيمِ، وَمُعَامَلَةِ جَمِيعِ النَّاسِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ، مُلُوكِهِمْ، وَرَعِيَّتِهِمْ، وَهَذَا الدِّينُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا السَّخَاءُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَلَا تَحْتَقِرُوا مَخْلُوقًا أَيًّا كَانَ.

5 لِأَنَّهُمْ مَظَاهِرُ الْإِلَهِ ✦ فَعَظِّمُوا حُرْمَتَهُمْ لِلَّهِ

6 تَحْقِيرُهُمْ تَحْقِيرُ فِعْلِ اللَّهِ ✦ وَذَاكُمُ حَمَاقَةٌ، وَاللَّهِ

7 قَالَ عليه السلام: «لو سَخِرْتُ مِنْ كَلْبٍ لَخِفْتُ أَنْ أُحَوَّلَ كَلْبًا»، وَالْآيَاتُ تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا فِي قِصَّةِ سَيِّدِي مُوسَى وَهَارُونَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿**فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ [طه: 44]، وَكَمَا فِي ﴿**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [العنكبوت: 46].

8 وَلَا تَغْفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَوْكَدُ الْأُمُورِ، إِذْ لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ بِدُونِهِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِمَا فِي الْكُتُبِ، مِنْ أَوْلَوِيَّةِ حَقِّ الشَّيْخِ مِنْ حَقِّ الْأَبِ، وَكَلَامُ الْقَوْمِ عِنْدَ غَيْرِ الْعَارِفِينَ سُمٌّ قَاتِلٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَاتِمِيُّ: "فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَنَا فَلَا يَنْظُرُ عِلْمَنَا"، وَأَنْشَدَ:

9 تَرَكْنَا الْبُحُورَ الزَّاخِرَاتِ وَرَاءَنَا ✦ فَمِنْ أَيْنَ يَدْرِي النَّاسُ أَيْنَ تَوَجَّهْنَا

10 وَأَحْسِنُوا إِلَى الْعِيَالِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ آتَاهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ آتَاهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: 7]، لَوْ أَحْسَنَ الْإِنْسَانُ كُلَّ الْإِحْسَانِ، وَلَهُ دَجَاجَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْهَا، فَلَا يُكْتَبُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

11 وَلَازِمُوا مُدَارَاةَ سَلَاطِينِكُمْ بِدَفْعِ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنْكُمْ قَبْلَ قِيَامِهِمْ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ فِي التَّعْجِيلِ تَوْقِيرًا لِدِينِكُمْ، وَفِي التَّأْخِيرِ وَالْكِتْمَانِ إِذْلَالًا لَهُ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، وَأَحْرَى دِينَهُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ لَكُمْ: عَمَّا قَلِيلٍ يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، أَوْ يَدَّعِي الْمَهْدِيَّةَ، كُلُّ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَإِضْلَالٌ، فَالصَّبْرَ الصَّبْرَ، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [البقرة: 153].

12 وَمَنْ عَاشَ مِنْكُمْ وَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ غَيْرِ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ، هَلَكَ وَأَهْلَكَ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، وَالْعَارِفُ مَنْ عَرَفَ بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا بِشَأْنِهِ، وَمَنْ تَقَيَّدَ مِنْكُمْ بِالطَّرِيقَةِ التِّجَانِيَّةِ فَلَا يُخَالِفُ شَرَائِطَهَا، وَالشَّرْطُ مَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ ...الخ، وَمَنْ خَرَجَ بَعْدَ التَّقَيُّدِ فَهَلَاكُهُ مَنْقُولٌ عَنِ الشَّيْخِ، وَهُوَ لَا يَقُولُ فِي طَرِيقِهِ إِلَّا مَا أَخَذَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً.

13 وَأَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِتَصْدِيقِي جَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ صَدَّقْتُهُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مَا ادَّعَى غَيْرَ مُمْكِنٍ، وَلَوْ أَنْكَرْتُهُ فِي ذَلِكَ مَا صَدَقْتُ فِي التَّصْدِيقِ.

14 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِي الطَّرِيقَةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهَا فَقَدِ انْسَلَخَ وَانْقَطَعَ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ بِغَيْرِ شَكٍّ عِنْدَ الشَّيْخِ وَخُلَفَائِهِ، إِلَى هَلُمَّ جَرًّا، وَهِيَ:

15 اَلْأَوَّلُ: زِيَارَةُ وَلِيٍّ غَيْرِ تِجَّانِيٍّ لِطَلَبِ الِاسْتِمْدَادِ وَالتَّجْدِيدِ، وَلَا تَغْتَرُّوا لِمَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ: "فُلَانٌ عِنْدَهُ الْقَادِرِيَّةُ وَالتِّجَّانِيَّةُ": لِأَنَّهُ بِوِلَايَتِهِ جَمَعَ ذَلِكَ، وَشَيْخُنَا بِوِلَايَتِهِ مَنَعَ مَا مَنَعَ.

16 وَالثَّانِي: جَمْعُ وِرْدِهِ مَعَ وِرْدٍ آخَرَ: لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ شَيْخَنَا بِتَرْكِ جَمِيعِ مَا أَخَذَهُ مِنَ الْأَوْرَادِ، فَكَانَ الْإِفْرَادُ شَرْطًا فِي طَرِيقِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

17 وَالثَّالِثُ: تَرْكُهُ تَهَاوُنًا.

18 وَزَمَانُكُمْ زَمَانُ سُكُوتٍ، وَغَضِّ الْبَصَرِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَحُسْنِ الظَّنِّ، وَعَدَمِ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِمَا أَقَامَهُمْ بِهِ الْمَوْلَى، كَانَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

19 وَصِيَّةٌ لِجَمِيعِ الْإِخْوَانِ الْمُنْتَسِبِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَفْقَرِ الْعَبِيدِ الْحَاجِّ مَالِكِ بْنِ عُثْمَانَ تَابَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْجَمِيعِ الرَّحْمَانُ.

20 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ